قصيدة لا تَعذَلِيـه

لا تَعـذَلِيـه فَإِنَّ العَـذلَ يُـولِعُـــهُ .... قَد قَلتِ حَقاً وَلَكِن لَيسَ يَسمَـعُـهُ
جـاوَزتِ فِي لومـه حَـداً أَضَـرَّ بِـهِ ....مِن حَيـثَ قَـدرتِ أَنَّ اللوم يَنفَعُـهُ
فَاستَعمِلِـي الرِفـق فِي تَـأَنِيبِـهِ بَـدَلاً .... مِن عَذلِهِ فَهُوَ مُضنى القَلبِ مُوجعُهُ
قَد كانَ مُضطَـلَعـاً بِالخَطـبِ يَحمِلُـهُ .... فَضُيَّقَت بِخُطُـوبِ الدهـرِ أَضلُعُـهُ
يَكـفِيـهِ مِن لَـوعَـةِ التَشتِيتِ أَنَّ لَهُ .... مِنَ النَـوى كُلَّ يَـومٍ ما يُـروعُـهُ
ما آبَ مِن سَـفَـرٍ إِلّا وَأَزعَـجَـــهُ .... رَأيٌ إِلى سَفَـرٍ بِالعَـزمِ يَـزمَعُـهُ
كَـأَنَّما هُـوَ فِي حِلٍّ وَمُـرتـحـلٍ .... مُـوَكَّـلٍ بِفَـضـاءِ اللهِ يَـذرَعُـهُ
إِنَّ الزَمـانَ أَراهُ في الرَحِيلِ غِنـىً .... وَلَو إِلى السَـدّ أَضـحـى وَهُوَ يُزمَعُهُ
تـأبى المطـامـعُ إلا أن تُـجَـشّـمه .... للـرزق كـداً وكم ممـن يـودعُـهُ
وَمـا مُجـاهَـدَةُ الإنسـانِ تَـوصِـلُهُ .... رزقَـاً وَلا دَعَـةُ الإنسـانِ تَقطَعُـهُ
قَـد وَزَّع اللهُ بَينَ الخَـلـقِ رزقَـهُمُ .... لَم يَخـلُـق اللهُ مِن خَلقٍ يُـضَيِّعُـهُ
لَكِنَّهُـم كُلِّفُـوا حِـرصـاً فلَستَ تَـرى .... مُستَرزِقـاً وَسِـوى الغـايـاتِ تُقنُعُـهُ
وَالحِـرصُ في الرِزقِ وَالأَرزاقِ قَد قُسِمَت .... بَغِيُ أَلّا إِنَّ بَغـيَ المَـرءِ يَصـرَعُـهُ
وَالدهـرُ يُعطِـي الفَتى مِن حَيثُ يَمنَعُـه .... إِرثاً وَيَمنَعُـهُ مِن حَيثِ يُـطمِعُــهُ
اِستَـودِعُ اللهَ فِي بَغـدادَ لِي قَـمَـراً .... بِالكَـرخِ مِن فَلَكِ الأَزرارَ مَـطلَعُـهُ
وَدَّعتُـهُ وَبـوُدّي لَو يُـوَدِّعُـنِـــي .... صَـفـوَ الحَيـاةِ وَأَنّي لا أَودعُــهُ
وَكَم تَشَبَّثَ بي يَـومَ الـرَحيـلِ ضُـحَىً .... وَأَدمُعِـي مُستَهِـلّاتٍ وَأَدمُـعُـــهُ
لا أَكُـذبُ اللهَ ثـوبُ الصَبرِ مُنـخَـرقٌ .... عَنّي بِفُـرقَـتِـهِ لَكِن أَرَقِّـعُـــهُ
إِنّي أَوَسِّـعُ عُـذري فِي جَنـايَـتِـهِ .... بِالبينِ عِنـهُ وَجُـرمـي لا يُوَسِّعُـهُ
رُزِقـتُ مُـلكـاً فَلَم أَحسِـن سِيـاسَتَـهُ .... وَكُلُّ مَن لا يُسُوسُ المُلكَ يَخلَعُـهُ
وَمَن غَـدا لابِسـاً ثَـوبَ النَعِيـم بِلا .... شَـكـرٍ عَلَيهِ فَإِنَّ اللهَ يَنـزَعُــهُ
اِعتَـضـتُ مِن وَجـهِ خِـلّي بَعدَ فُرقَتِهِ .... كَأسـاً أَجَـرَّعُ مِنهـا ما أَجَـرَّعُـهُ
كَم قـائِلٍ لِي ذُقـتُ البَينَ قُـلـتُ لَهُ .... الذَنبُ وَاللهِ ذَنبـي لَسـتُ أَدفَـعُـهُ
أَلا أَقـمـتَ فَـكـانَ الـرُشـدُ أَجمَعُهُ .... لَو أَنَّنِي يَـومَ بانَ الـرُشـدُ اتبَعُــهُ
إِنّـي لَأَقـطَـعُ أيّـامِـي وَأنفـقُـهـا .... بِحَسـرَةٍ مِنهُ فِي قَـلبِي تُـقَـطِّعُـهُ

بِـمَن إِذا هَـجَـعَ الـنُـوّامُ بِـتُّ لَـهُ .... بِلَوعَـةٍ مِنهُ لَيلى لَستُ أَهـجَـعُـهُ

لا يَطمِئـنُّ لِجَنـبـي مَضـجَـعٌ وَكَذا .... لا يَطمَئِـنُّ لَـهُ مُـذ بِنتُ مَضجَعُهُ

ما كُنتُ أَحسَـبُ أَنَّ الدهـرَ يَفجَعُـنِي .... بِهِ وَلا أَنَّ بِـي الأَيّـامَ تَـفجـعُــهُ

حَتّى جَـرى البَينُ فِيما بَينَـنـا بِيَـدٍ .... عَسـراءَ تَمنَعُـنِي حَـظّـي وَتَمـنَـعُـهُ

قَد كُنتُ مِن رَيـبِ دهرِي جازِعاً فَرِقاً .... فَلَم أَوقَّ الَّذي قَد كُـنـتُ أَجـزَعُــهُ

بِاللهِ يا مَـنـزِلَ العَيشِ الَّذي دَرَسـت .... آثـارُهُ وَعَـفَـت مُـذ بِـنـتُ أَربُـعُـهُ

هَـل الـزَمـانُ مَعِـيدُ فِيـكَ لَذَّتُـنا .... أَم اللَيالِـي الَّتـي أَمضـتـهُ تُـرجِعُــهُ

فِي ذِمَّـةِ اللهِ مِن أَصبَـحَـت مَنزلَهُ .... وَجـادَ غَيثٌ عَلى مَغـنـاكَ يُمـرِعُــهُ

مَن عِنـدَهُ لِي عَهـدُ لا يُضـيّـعُـهُ .... كَما لَهُ عَهـدُ صِـدقٍ لا أُضـيِّـعُــهُ

وَمَن يُـصَـدِّعُ قَلبـي ذِكـرَهُ وَإِذا .... جَـرى عَلى قَلبِـهِ ذِكـري يُصَـدِّعُـهُ

ابن زريق البغدادي

ك